فى رسم الجيوش المحاربة حتى لقد قصرت عنها الأمم فى ذلك ، فوصفت الإلياذة أتباع « أخيل » فى الحرب فشبهتهم بذئاب فى قلوبها بأس شديد عادت بعد أن نهشت وعلا وفى أنيابها بقية من دماء ، ثم ازدحمت على الماء لترتوى ، فلما امتلأت بطونها وقفت تنفث الرعب ، قال هوميروس : « لو رأيت هذه الذئاب فقد رأيت رجال أخيل العظيم قوة ومظهراً حين دعاهم الداعى لهذا القتال المخيف».

وهذا مديح لأخيل ورجاله فى الإلياذة نقع على مثله فى الأوديسية وفى الشعر الشعبى للإغريق ونثرهم وأناشيدهم ومسرحياتهم ، فيه المثل العليا كالشرف وسمو الخلق والبطولة والكرم ؛ وتلمح له شبيهاً كذلك عند الرومان وملاحمهم اللاتينية ، فقد وصفوا المعارك والحروب والأبطال والشجعان ، وامتدحوا مواقفهم المثيرة ، ومزجوا ذلك بإشراك عناصر الطبيعة ، ورسموا ما كان يثير الخوف منها ، وبسطوا موقف الفرسان من حرب الإنسان والطبيعة .

ولما كان القرن الخامس عشر للميلاد فى الغرب ، قام الإنكليز برسم الرجال وامتداح الأبطال ، ونهض الفرنسيون فى الجنوب ينشدون المديح على لسان شعراء التروبادور ، وهم من طبقة الفرسان والسادة الأشراف ، وقد قلدوا فى كثير من المديح شعراء الأندلس من العرب ، فصوروا البطولة والشجاعة والكرم . ونشأ كذلك فى شمالى فرنسة شعراء المغامرة يرسمون البسالة ويصفون الشجاعة فى ملاحم قوية فيها أمجاد الرجال وكرم الأخلاق . ولم تتخلف ألمانيا عن فرنسة وإنكلترة وأسبانيا فى هذا الميدان ، وإنما نظمت فى مديح الأبطال وسير الزعماء والقواد والملوك ما يشبه الإلياذة والأوديسة .

وظل أدباء الغرب ينسجون على منوال أجدادهم فى الأساطير ورسم الأبطال حتى كثرت المسرحيات والدواوين فى مديح الزعماء والملوك والقواد والكتاب ، مما يطول بيانه وحصره والتعرض له فى هذه الصفحات القليلة ، فقد أحيوا مسرحيات القدماء من اليونان والرومان ، وأعادوا قصص الفرس والهند ، فوصفوا البطولة والشجاعة ، واستفادوا من أشخاص التوراة ومعارك الأمم القديمة وقوادها ، فكانوا فى المديح كما كان أولئك ، ولكنهم برزوا فى المديح